أعمال الخير والبر لنساء النخبة في البلاط العباسي

١٣٢ـ ٣٣٤هـ / ٧٤٩ـ ٩٤٥م

دراسة تاريخية

إعـــــداد

د. ريـــم ســعود الــرديني

أستاذ التاريخ والآثار المساعد بكلية الآداب

جامعة الكويت

Email: reem.alrudainy@ku.edu.kw

DOI: 10.21608/aakj.2023.206545.1447

تاريخ الاستلام : ١٨ /٤/٢٠٢٣م

تاريخ القبول : ١/ ٥/٢٠٢٣م

ملخص:

كان الدور الاجتماعي لنخبة من نساء البلاط في العصر العباسي الأول – خاصة في أعمال البر والخير – كبيرًا؛ ظهر خلال الفترة الزمنية التي تمتد من بداية قيام الدولة العباسية حتى بداية القرن الرابع الهجري؛ أي من ١٣٢هـ إلى٣٣٤هـ (٧٤٩– ٩٤٥م). تركز الدراسة على النفوذ الاجتماعي لنساء البلاط العباسي؛ حيث الأعمال التي قامت بها النساء، أو أسهمن في قيامها، وكان المجتمع في أمس الحاجة لها، مثل: إنشاء المرافق الاجتماعية، أو التعليمية، أو الدينية، أو الصحية كذلك. في الواقع، كانت النساء اللواتي ورد ذكرهن في هذه المصادر الأولية منخرطات في علاقات مع رجال أقوياء في تلك الفترة، سواء الخلفاء أم الوزراء وغيرهم من رجال الدولة. السؤال في قلب هذا العمل هو: كيف تم تمثيل وبناء هويات النساء النخبوية في المصادر العباسية؟ وكيف يمكن إعادة صياغة النخبة النسائية في البلاط العباسي رغم اختلاف طبقاتهن؟ وكيف استطاع نساء النخبة في البلاط العباسي استغلال نفوذهن وطبقتهن في أعمال الخبر والبر؟ حيث قسمت نساء البلاط إلى زوجات الخلفاء، وأم ولد، وجوارٍ، وقهرمانات.

الكلمات المفتاحية: المرأة، أعمال الخير والبر، النخبة، البلاط العباسي، السلطة.

Abstract

The social role of a group of women from the court in the first Abbasid era, especially in charitable and benevolent works, was significant. This period extended from the beginning of the Abbasid Caliphate until the beginning of the fourth century AH, from 132 AH to 334 AH (749-945 CE). The study focuses on the social influence of Abbasid court women, where the works that women have done or contributed to its establishment were needed by society, such as the establishment of social, educational, religious, and health facilities. In fact, the women mentioned in these primary sources were involved in relationships with powerful men in that period, whether they were caliphs, ministers, or other state officials. The question at the heart of this work is how were the identities of elite women represented and constructed in Abbasid sources? And how can the elite women in the Abbasid court be reframed, despite their different social classes? And how did the women of the Abbasid court elite manage to assert their influence and social class in charitable and benevolent works, where the court women were divided into the wives of caliphs, mothers of sons, concubines, and Qhrmānāt.

Keywords: women, good deeds and righteousness, The elite, the Abbasid court, power

المقدمة:

يعد العصر العباسي الأول من أكثر العصور التي ظهر للمرأة نفوذ سياسي ومالي واجتماعي واسع، ميز دورها عن العصور السابقة. وتلقي هذه الدراسة الضوء على الدور الاجتماعي لنساء البلاط في العصر العباسي الأول – خاصة في أعمال البر والخير– الذي ظهر خلال الفترة الزمنية التي تشملها الدراسة، وهي تمتد من بداية قيام الدولة العباسية وحتى بداية القرن الرابع الهجري من ١٣٢هـ إلى٣٣٤هـ (٧٤٩-٩٤٥م). تركز الدراسة على النفوذ الاجتماعي لنساء البلاط العباسي، حيث الأعمال التي قامت بها النساء أو أسهمن في قيامها، وكان المجتمع في أمس الحاجة لها، مثل: إنشاء المرافق الاجتماعية، أو التعليمية، أو الدينية. وعندما ننظر إلى الغالبية العظمى من المصادر الإسلامية في العصور الوسطى،– ولا سيما المصادر الأولية،– نجد هناك مجموعة محدودة جدًا من المواد المتعلقة بالمرأة في العصر العباسي في شكل كتب تعدها مصادر أساسية. وفي الواقع، كانت النساء اللواتي ورد ذكرهن في هذه المصادر الأولية منخرطات في علاقات مع رجال أقوياء في تلك الفترة، سواء كزوجات للخلفاء، أو ملكات، أو جوارٍ. السؤال في قلب هذا العمل هو كيف تم تمثيل وبناء هويات النساء النخبوية في المصادر العباسية التي سعين إلى تصويرهن، وكيف أصبحن جزءًا من نخب الساحة السياسية، وكان لهن دور اجتماعي؟ نفكر في مفهوم النخبة الذي يشير عادةً إلى أولئك الذين يتم تصنيفهم مباشرة تحت الملوك أو الدم النبيل، وأن مثل هذا "الدم النبيل" يميل إلى امتلاك المزيد من الامتيازات المعترف بها والمكانة الاجتماعية العليا. والنخبةُ مجموعة من الأفراد الذين يقودون المجتمع، ويعد مفهومًا قديمًا ارتبط تاريخياً بالحاجة الى تنظيم ممارسة السلطة وعملية صنع القرار. تتألف النخبة من نساء البلاط العباسي هنا من أولئك الذين يملكون مقاليد القوة بعلاقتهم المباشرة برجال السياسية كالخلفاء والوزراء في ذلك العصر، ويمكن تقسيم نخبة نساء البلاط العباسي إلى زوجات الخلفاء، وأم ولد، وقهرمانات، والسؤال هنا: كيف يمكن إعادة صياغة النخبة النسائية في البلاط العباسي رغم اختلاف طبقاتهن؟

وكيف استطعن نساء النخبة في البلاط العباسي استغلال نفوذهن وطبقتهن في أعمال الخبر والبر؟

تركز هذه الورقة على دور النخبة من النساء المرتبطات بالبلاط العباسي في القرنين التاسع والعاشر خلال العصر العباسي الأول، وتتناول الاختلافات ليس فقط في تصرفات المرأة العباسية، ولكن في التغطية الشاملة من قبل مؤرخي ذلك العصر؛ حيث إن النخبة في أي مجتمع تعرف على أنها مجموعة من أفراد المجتمع الذين لديهم المهارات التي سمحت لهم بالمشاركة في صنع القرار، مما مكنهم من التأثير في المجالات الاجتماعية، والثقافية، وغيرها من مجالات المجتمع.

تتمتع معظم نساء النخبة في البلاط العباسي بالمؤهلات والفرص التي سمحت لنفوذهن وسلطتهن بالتأثير في صنع القرار الذي تجاوز ما هو تقليدي في أعمال الخير والبر في ذلك العصر، وسيتم التعرف على هؤلاء النساء النخبة في العصر العباسي في ضوء فهم طبقهتن في المجتمع النخبوي في العصر العباسي مما يسهم في فهم تاريخ المرأة، وأن النفوذ الاجتماعي لنساء البلاط العباسي وما قامت به النساء من أفعال الخير والبركان دافعهن في ذلك استشعارهن للمسئولية، وحبهن للرعية والمساحة التي سمحت لهن بالتصرف بحرية في تطبيق تلك المسئولية.

نساء البلاط العباسي وأعمال الخير والبر:

لم تركز الدراسة وتهدف إلى مجرد سرد أسماء النساء اللواتي أدّين دوراً معيناً في المجتمع العباسي بقدر البحث عن ماهية الظروف التي مهدت للمرأة أن تؤدي دوراً في أعمال الخير والبر، هذا الدور الذي مكنهن من النجاح وإبراز أسمائهن كنخبة في هذا النسيج الاجتماعي، وقد برزت نساء عدة من زوجات وأمهات أولاد الخلفاء في هذا المجال كالخيزران، وهي زوجة الخليفة العباسي محمد بن عبدالله المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٥-٧٨٥م)[١]، فهي امرأة قدم بها قوم إلى العراق من جرش[٢]، وهي أم ولد[٣]، وأمُّ الولد هي الجارية يطؤها سيدها تسريا بها، فتلد منه ولداً ذكراً أو أنثى،

اشتراها المهدي من نخَّاس. والملاحظ أن الخيزران قد حظيت عند المهدي بمنزلة كبرى حتـى أنـه أعتقهـا وتزوجهـا، فولـدت لـه ابنـين أصـبحا خليفتـين؛ همـا موسـى الهـادي، وهارون الرشيد.(٤). والهادي هو أبو محمد، موسى بن المهدي العباسي، أمه الخيزران، تولى الخلافة بعد أبيه بعهد منه، مات في شهر ربيع الآخر سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م وعمره ٢٣سنة، وكانت خلافته سنة وشهرًا، وتولى الحكم من بعده أخوه، وهارون الرشيد هو أميـر المـؤمنين هـارون بـن المهـدي بـن العبـاس، أمـه الخيـزران، ولـد فـي شـوال سـنة ١٤٨هـ/٧٦٥م، وبُويع له بالخلافة سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م.(٥).

كان للخيزران نفوذ سياسي قوي في عهد زوجها الخليفة المهدي(٦)، ولم يقتصر نفوذها على النواحي السياسية والمالية، بل كان لها دور اجتماعي؛ حيث عُرف عنها حبها الشديد لأفعال الخير، ومد يد العون في مساعدة جميع المحتاجين. وتمثل الدور الاجتماعي الذي قامت به الخيزران في الكثير من الأعمال، والملاحظ أن الخيزران كانت تنفق الأموال بسخاء، ليس فقط في بغداد، بل كان للحجاز من أفعالها الخيرية نصيب وافر، وتمثل ذلك في الصدقات. وقد حجت الخيزران في خلافة زوجها المهدي، ومكثت في مكة بعد الحج مدة شـهرًا، كانـت خلالـه كثيـرة الصـدقة بـالأموال علـى المحتـاجين والفقـراء فـي مكـة المكرمـة وخارجها.(٧). كما اهتمت بأفعال الخير في مكة المكرمة أيضًا، حيث قامت بشراء الدار التي ولد فيها النبي محمد صلى الله عليه وسلم في مكة، وكانت الدار تعرف بدار ابن يوسف، حيث أدخلتها في المسجد الحرام، وقد عُرفت فيما بعد بدار الخيزران(٨). وفي خلافة ابنها موسـى الهـادي كانـت الخيـزران تـتلمس همـوم النـاس واحتياجـاتهم، وتتعـرف علـى معانـاتهم لمساعدتهم في حل مشكلاتهم حتى أن الناس كانوا يقفون على بابها طلبا للمساعدة وقضاء الحوائج.(٩).

والواقـع أنـه كـان لأفعـال الخيـر العمرانيـة منزلـة كبـرى فـي حيـاة الخيـزران ميزتهـا عـن غيرهـا مـن نسـاء البـلاط العباسـي.؛ فنظـراً لـنقص الميـاه علـى القـاطنين قـرب مدينـة الأنبـار(١٠)، فقـد أمـرت بحفـر نهـر فـي العـراق، حيـث قـام وكيلهـا بتقسـيم

الأرض المراد حفرها إلى أقسام محدودة، وجعل على كل قسم مجموعة من الرجال يقومون بالحفر، فَسُمِّيَ نهر المحدود[١١]، وقيل إن الخيزران أسمته المربان[١٢]، وقيل الريان[١٣].

أما ثاني أهم سيدة خلال العصر العباسي الأول، وهي من النخبة، ليس فقط لأنها هاشمية الأصل، وعُدَّت من النبلاء من دمها فقط، بل لأنها زوجة الخليفة، وعرفت بأعمالها الخيرية وبرها، هي السيدة زبيدة بنت جعفر بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس[١٤]، ولدت في الموصل سنة ١٤٥هـ/٦٧٢م.[١٥]، وتزوجت بهارون الرشيد سنة ١٦٥هـ /٧٨١م في خلافة أبيه المهدي ببغداد.[١٦]. وتعد حفلة زفافها من الحفلات الشهيرة في التاريخ الإسلامي؛ حيث احتفى الخليفة المهدي بزواج ابنه هارون من ابنة أخيه زبيدة، وكان للسيدة زبيدة مكانة عظمى عند ذكر نساء البلاط العباسي؛ فقد استمدت مكانتها من أعمالها العمرانية والإصلاحية، ومن خدمات ومنشآت عمرانية نُسبت إليها، وأهم ما قامت به السيدة زبيدة هو طريق الحج العراقي (درب زبيدة)، وهو الطريق الذي كان يسلكه الحجاج القادمون إلى الأراضي المقدسة من شرقي العراق وخراسان.[١٧]، بالإضافة للكثير من الأعمال التي خلدت اسمها. وتعد مظاهر الاهتمام بمصادر المياه بمكة المكرمة والعناية بها – قديمة جداً، فقد أعاد السيد عبد المطلب جد الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم حفر بئر زمزم بعد غورها وغياب معالمها، وأوقفها لسقاية الحجاج[١٨] كما أجري الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان بعض الأعمال المائية منها: السد والعيون في الحرم المكي سنة ٥٨هـ/٦٧٧م [١٩]وقد اهتم الخلفاء العباسيون وكبار رجالات الدولة بطريق الحج العراقي اهتماماً كبيراً،؛ فهو الرابط بين عاصمة العباسيين بغداد والأراضي المقدسة مكة المكرمة والمدينة المنورة، ففي خلافة أبي العباس السفاح سنة ١٣٤هـ/٧٥١م أمر عامله على الكوفة عيسى بن موسى باصلاح هذا الطريق، ووضع العلامات والمسافات من الكوفة إلى مكة[٢٠]. وتتبع المهدي خطوات عمه أبي العباس السفاح في الاهتمام بطريق الحج العراقي؛ حيث أمر ببناء القصور على طول طريق الحج العراقي، وكانت أكبر وأوسع

من القصور التي بناها السفاح، كما أمر المهدي بتحديد الأميال والبرك، وحفر عددًا كبيرًا من الآبار[٢١]. وحج الخليفة هارون الرشيد ماشيًا في سنة ١٧٧هـ/٧٩٣م، فمُهدت له الطريق، وحُفرت له الآبار، وأُقيمت له المنازل، والقصور، والبساتين، والبرك، فهو الذي يعود له الفضل في إنشاء الطريق الفرعي بين المدينة المنورة والربذة وهي مدينة تاريخية أثرية تقع في شرق المدينة المنورة وتبعد عنها ١٧٠ كم وهي احدى محطات القوافل علد رب زبيدة من العراق إلى مكة المكرمة [٢٢].

وبعد انقطاع هذه العيون جددها مرة أخري الخليفة العباسي هارون الرشيد بعيون أخري عرفت باسم (الرشا)[٢٣]، ثم تلا ذلك عناية السيدة زبيدة بنت جعفر المنصور وزوج الخليفة هارون الرشيد سنة ١٩٤هـ/٨٠٩م، بتوفير الماء لمكة وجلبه ببناء عين كبيرة عرفت بعين زبيدة – كانت من أهم مصادر مياه الشرب ومواردها لمكة المكرمة، وكانت تتبع من وادي نعمان، وتمر بوادي عُرنُة، إلي الخَطْم، ثم تنحدر إلي مني وتنتهي بمكة، وكانت مصممة بطريقة انسيابية[٢٤]، كما أجرت عليها عيون عديدة هي: ميمونة، الزعفران، البرود، الصدفة، ثقبة، الخريبات، وكانت جميع بيوتات مكة تعتمد علي هذه العيون اعتماداً كلياً كمورداً لمياه الشرب بواسطة السقائين بالقرب.[٢٥]

وقد تعرضت هذه العيون للتلف علي فترات تاريخية مختلفة، لكن كانت تتم صيانتها من حين لآخر[٢٦]، وحلت حديثاً الأنابيب محل المجري القديم من عرفات لمكة [٢٧]، ونظمت شبكة المياه إلي مكة عن طريق الأنابيب، وأدخل إليها نظام تحلية المياه المالحة من البحر.[٢٨]

والواقع أن السيدة زبيدة انفردت بتسمية هذا الطريق باسمها دون غيرها، بل ونسب معظم ما فيه من خدمات ومنشآت عمرانية إليها، فأُطلق عليه درب زبيدة. فما الأعمال الإنشائية والعمرانية التي قامت بها السيدة زبيدة في هذا الدرب، وخلدت ذكرها في كتب التاريخ، كذلك مرافق درب زبيدة؟ في الحقيقة أن السيدة زبيدة قامت بإنشاء الكثير من المرافق العمرانية في هذا الدرب، وتشمل إنشاء القصور، والمساجد، والبرك، والآبار، وغيرها، الأمر

الذي جعل الحجاج العراقيين وكل المسافرين يسلكون هذا الدرب، وقد حجت السيدة زبيدة في سنة ٢٠٨هـ/٨٢٣م، وأمرت ببناء قصر ومسجد وبركة ماء في موقع يقال له: الزبيدية[٢٩]، كما أنشأت قصرًا ومسجدًا وبركة ماء لها مصفاة في الهيثم[٣٠]، وأمرت بإنشاء مسجد وبركة ماء في الرسمتية[٣١]، وبنت قصراً وبركة ماء على شكل دائرة لها مصفاة في منطقة البطان[٣٢].

كما أنشأت السيدة زبيدة بركة ماء، سميت بركة البلة[٣٣]، وبنت مجموعة كبرى من البرك على درب زبيدة على مسافات متقاربة؛ حيث بنت بركة ماء مدورة الشكل تُعرف بالطارفية في توز، وأخرى مربعة الشكل في موقع يعرف بالتوزي، وبنت بركة تبعد عن توز حوالي خمسة أميال في موقع يطلق عليه العنابية[٣٤]، وأمرت ببناء بركة سميت بالزبيدية، وفي موقع يقال له سميراء[٣٥] بنت بركة ماء دائرية الشكل في موقع يقال له قرورى، وأقامت بركة ماء تسمى الحسنى على بعد أميال قليلة من قرورى، كما بنت بركة ماء مدورة الشكل، وأخرى في ذات عرق في موضع يقال له المعدن[٣٦].

وكانت محاولات إيجاد حل لمشكلة نقص المياه في مكة هو الهاجس الدائم لمعظم الخلفاء من بني أمية وبني العباس، وكانت محاولاتهم تنحصر في حفر آبار داخل مكة، أو إجراء العيون القريبة من الحرم، إلا أن كل هذه المحاولات لم تف بالغرض المطلوب، وظل سكان مكة المكرمة والحجاج والمعتمرون يعانون المشقة في سبيل الحصول على الماء، لذا كان اهتمام السيدة زبيدة بتوفير المياه بمكة، وعندما حجت سنة ١٩٠هـ /٨٠٦ م ولمست النقص الحاد في موارد المياه، ومدى ما يعانيه الحجاج والسكان من نقص المياه، قررت زيادة عمق بئر زمزم عدة أذرع، ولكن دون جدوى، فلم يحقق هذا العمل الغاية المرجوة منه[٣٧].

وقد وجد المهندسون أن الحل يأتي من العيون التي خارج مكة، حيث يمكن الإفادة من عين حنين، وعين وادي النعمان، ولكنها تحتاج إلى أموال ضخمة، وقد قالت السيدة زبيدة لوكيلها: "اعملها ولو كانت ضربة الفأس بدينار"[٣٨]. وقد قدمت السيدة زبيدة أعمال الخير

والبر التي تخدم هذا المجال، مثل: عين زبيدة، ويقصد بها عين حُنين، وحُنين موضع وقعت فيه غزوة حُنين المشهورة[٣٩]. وعين حُنين تتبع من أسفل جبل شامخ بين مكة المكرمة والطائف، ومن ماء عين حُنين كانت تُسقى مواشٍ ومزارع الأعراب القاطنين بحُنين. وقد اشترت السيدة زبيدة المزارع من أصحابها، كما اشترت المواضع كافة في حُنين، وعُملت نقاط لتجميع المياه حول مجاري الأمطار وبالقرب من سفوح الجبال تتصل بمجرى العين الرئيس، حتى أصبحت كمية المياه كافية أن تصل إلى مكة المكرمة. وبنت السيدة زبيدة البرك على طول مجرى القناة من عين حنين حتى أوصلت المياه إلى الحرم، وبنت البازانات في معظم أحياء مكة المكرمة لسقاية الناس والحجيج والمعتمرين[٤٠].

وكذلك عين وادي النعمان، حيث بنت السيدة زبيدة القنوات والبرك حتى أوصلت الماء إلى عرفة، فسُمِّيت بعين عرفة، وسعت في إيصال الماء إلى بقية المشاعر؛ حيث أمرت ببناء القنوات التي تصل بالماء إلى مزدلفة، ثم منى، وفي منى بُنيت على أطراف القناة أحواضًا لسقاية دواب ومواشي الحجاج، وسميت هذه المنطقة بحوض البقر[٤١]. وأمرت أن تلقى الدفاتر في النهر، وقالت: "تركنا الحساب ليوم الحساب، فمن بقي عنده شيء من المال فهو له، ومن بقي له عندنا شيء أعطيناه"[٤٢]. فقد ضربت السيدة زبيدة أروع الأمثال في فعل الخير، وخاصة في المجال العمراني، كما بنت مسجد "ذي طوى"، وهو يبعد عن المسجد الحرام حوالي كيلومتر فقط، ويقع في مكان يقال له جرول[٤٣]. وأمرت في العراق بحفر نهر أسمته الميمون بين واسط وقرية ميمون؛ لحل مشكلة نقص الماء في قرية ميمون، وبنت في الجانب الغربي من بغداد مسكنا خاصاً أسمته الزبيدة لخدمها وحشمها[٤٤]. وشمل ذلك العلماء، والأدباء، والأطباء، فلقد عطفت على الطبيب جبرائيل بن بختشيوع، ومنحته راتبا شهريا قدره خمسون ألف درهم[٤٥].

مَثَّلَت طرق الحج ودروبه إلي مكة المكرمة – أهم محاور الطرق البرية التي تفد من الدول الإسلامية المختلفة لتأدية فريضة الحج سنوياً، وقد لقت هذه الطرق اهتماماً كبيراً لدي حكام المسلمين في كافة الدول ورعايتهم،

حيث أولوها عناية كبيرة تمثلت مظاهرها في : العمارة، الصيانة، والتأمين، حيث أقيمت منشآت حربية وأخري مدنية خدمية كان منها : القلاع والأبراج والرباطات، والمساجد والمحطات والسقايات [٤٦]، وآبار المياه والسدود وأحواض سقيا الدواب، وذلك بغرض راحة حجيج بيت الله الحرام، ومن أهم طرق الحج بمكة والتي عرفت خلال العصور الإسلامية : درب زبيدة[٤٧] وهو درب أهل العراق وإيران[٤٨]، و درب الحج الشامي[٤٩].

كذلك كانت زوجة الخليفة المعتضد بالله؛ السيدة شغب، من أشهر سيدات البلاط العباسي؛ إذ كانت صاحبة نفوذ وسلطان وسلطة، أمرت ونهت، حكمت وتصرفت في أمور الخلافة العباسية، فلم يمر على التاريخ العباسي سيدة حاكمة بمثل نفوذ السيدة شغب سيدة البلاط العباسي، قيل إنها كانت قوية[٥٠]، ولكن لها أيضاً أفعال خير جليلة، وهي أم ولد، قيل إنها تركية، وقيل إنها ذات أصول رومية، أُختلف في اسمها[٥١]. وقيل اسمها ناعم، اشتراها الخليفة المعتضد بالله من أم القاسم بنت محمد بن طاهر[٥٢]، كانت جميلة الأطراف، حسنة الأوصاف، أحبها الخليفة المعتضد بالله، وشُغف بها[٥٣]، فاعتقها وتزوجها بعد أن ولدت له ابنها المقتدر بالله[٥٤]. فغير اسمها من ناعم وسماها "شغب"؛ وذلك لكثرة شغبها مع نساء البلاط زوجات المعتضد بالله بعد إنجابها لابنها المقتدر بالله[٥٥]، ثم عُرفت بعدئذ بلقب السيدة، ولم يكن لها نفوذ سياسي أو مالي أو اجتماعي في خلافة زوجها الخليفة المعتضد بالله،؛ وسبب ذلك أن الخليفة المعتضد بالله كان حازماً شديداً، ساس أمور الخلافة والرعية بحزم وحكمة، فخافه القادة قبل الناس[٥٦]. وإنما ظهر نفوذ السيدة شغب السياسي والمالي والاجتماعي في خلافة ابنها المقتدر بالله؛ فقد كان لها أعمال بر وأفعال خير؛ فاهتمت بمصالح الحجاج، حيث كانت حريصة على تقديم كل ما قد يحتاج له الحجاج من الماء والزاد، بل إنها سعت في تسهيل الحج عليهم،؛ حيث كانت تعبد طُرقات الحج، وتزود قوافل الحجاج بالأطباء، وغير ذلك[٥٧]. وقد قامت بعمل جليل عندما أنشأت بالرصافة مستشفى ضخمًا، أقامته

على شاطئ نهر دجلة بالقرب من المحلة في بغداد، وأوكلت إدارته والإشراف عليه للطبيب سنان بن ثابت الذي اختار له الأطباء، وشرّع أبواب المستشفى لعلاج المرضى مجاناً، وكانت نفقته الشهرية حوالي ستمائة دينار(٥٨).

كما أخرجت السيدة شغب من خزائنها كمًا كبيرًا من الحنطة والشعير، وأمرت ببيعها عند الغلاء الذي أصاب بغداد، وفي سنة ٣٠٦هـ/ ٩١٨م قامت ببناء مستشفى في البصرة، اعتمدت له النفقات الكبرى، وأسمته البيمارستان المقتدري(٥٩). كما افتُتِحَ المارستان الذي بنته السيدة شغب أم المقتدر بسوق يحيى في أول يوم من المحرم (٣٠٦هـ/٩١٨م)، وجلس فيه سنان بن ثابت رئيس أطباء بغداد، ورتب فيه الأطباء والخدم، وعرف باسم "المارستان الشغبي"(٦٠) نسبة إلى شغب. وكانت السيدة شغب كثيرة الصدقات،؛ فإذا كان دخلها في السنة مليون دينار، فإنها كانت تصرف الكثير منه على أعمال البر(٦١)، وكان للرعية ومصالح الحجاج جزء كبير من اهتماماتها، وكذلك المساجين كان لهم من رعايتها الشيء الكثير؛ فقد قدمت للوزير أبي الحسن علي بن الفرات وهو مسجون بعد وزارته للفترة الثانية، مبلغ خمسين ألف درهم ليفرج بها ضائقته، ومساعدةً لأولاده، ولم تطلب منه إرجاعها، كما قدمت للوزير علي بن عيسى ستمائة ألف دينار في سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م يقدمها للجند دفاعاً عن بغداد، كل هذه الأفعال تُؤكد على أن السيدة شغب كانت امرأة صالحة ومتدينة(٦٢).

وكانت من أمهات الأولاد اللاتي كان لهن دور كبير في أعمال البر، السيدة شُجاع، فقد كانت أم ولد، قيل إنها طخارية الأصل من أقاليم بلاد ما وراء النهر(٦٣)، وقيل إنها تركية من خوارزم، تزوجها الخليفة المعتصم بالله، فرزق منها بولد هو الخليفة المتوكل على الله.(٦٤). أصبحت شجاع في خلافة ابنها المتوكل على الله من سيدات البلاط العباسي اللاتي كان لهن باع طويل في النفوذ المالي؛ إذ كانت تملك قرية قريبة من واسط بها ضياع واسعة، وكانت غلتها كثيرة جداً، تقدر بحوالي أربعمائة ألف دينار في السنة(٦٥)، وكانت نفقتها من ولدها الخليفة المتوكل على الله في السنة حوالي ستمائة ألف دينار(٦٦). وكان

لشُجاع أم الخليفة المتوكل على الله باع طويل في أفعال الخير؛ فقد أصلحت عين مشاش التي تقع بين مكة المكرمة والطائف، وكان ماؤها يصل إلى مكة المكرمة، بالإضافة إلى توليها النفقة الدائمة على بيمارستان بدر المعتضدي(٦٧).

كذلك كانت خمرة مولاة الخليفة المقتدر بالله، وأم ولده عيسى(٦٨)، فبعد وفاة الخليفة المقتدر بالله سنة ٣٢٠هـ / ٩٣٢م وتولي القاهر بالله الخلافة، اختفت خمرة ضمن من استتر من أولاد وأمهات أولاد المقتدر بالله، وذلك خوفاً من بطش عمهم الخليفة القاهر(٦٩). تولت خمرة مسئولية الحراسة على الخزنة التي يُحفظ بها الذخائر والمجوهرات، ومن ضمنها سبحة الجواهر الثمنيه، فإذا إذا أراد المقتدر بالله التسبيح طلبها من خمرة، ثم تردها خمرة إلى الخزنة، وتُوفيت خمرة في سنة ٣٧٨هـ /٩٨٨هـ، وقد نُقل معها تابوت ابنها عيسى فدفنا بالرصافة(٧٠). وقد اتصفت خمرة بالأمانة حتى أن السيدة شغب قد جعلتها مسئولة عن المجوهرات والذخائر، وجعلت بيدها مفاتيح الخزنة، وكانت خمرة كثيرة البر، والمعروف، والعطاء للفقراء والمحتاجين، وأهل الحاجة من الأسر الفقيرة، وأصحاب الأمراض(٧١).

عرف المجتمع العباسي مظاهر الغنى والترف في مختلف العصور التي مر بها، وكان للمرأة نصيب كبير في هذه المظاهر التي لم تقتصر على سيدات القصور، بل تعدتها إلى بعض الجواري والقهرمانات واللاتي كان لهم علاقة مباشرة بالسلطة من خلفاء ووزراء مما أسهم بشكل كبير ليكون لهم نفوذهم الذي اكتسبوه من خلال هذه العلاقة الاستفادة في أعمال البر والاحسان، وأصبح للقهرمانات نصيب بإعادة صياغة المشهد السياسي النخبوي، وأن يَكُنَّ من النخبة المهتمة بأعمال الخير والبر. وكانت أم موسى القهرمانة هي سكينة بنت العباس بن محمد بن سليمان بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس(٧٢)، وكان ظهورها في دار الخلافة في سنة ٢٩٧هـ /٩٠٩م(٧٣)، وهي قهرمانة السيدة شغب أم الخليفة المقتدر، وكان عملها أنها همزة الوصل بين السيدة شغب والوزراء؛ حيث كانت تنقل الرسائل من السيدة شغب والخليفة المقتدر بالله إلى الوزراء،(٧٤)، وكانت مقصد أصحاب الحاجات الذين يسعون وراء الوزارة وأعلى المناصب، فلا يبخلون عليها

بالمال والهدايا بعد أن تحقق لهم ما يصبون إليه، فمنذ أن عينتها السيدة شغب قهرمانة في قصر الخليفة المقتدر بالله سنة (٢٩٩هـ/٩١١م) أثرت إثراءً[٧٥] فاحشاً، أتاح لها السيطرة وجمع المال، حاولت معه إقامة مركز نفوذ. ومن المهام التي تولتها أُم موسى الشئون المالية لموظفي القصر وغيرهم، حيث إنها من يقرر زيادة بعض الحشم والخدم في النفقة[٧٦]، وعرفت بحبها لأعمال الخير، ومساعدة العمال وتوظيفهم، ولكن سنة (٣١٠هـ/٩٢٢م)، تم مصادرة أموال منها ما يقارب مليون دينار بعد إتهامها بتهم كثيرة، ما دعا الوزير علي بن عيسى إلى تشكيل ديوان خاص يحمل اسمها، هو "ديوان المقبوضات من أم موسى"[٧٧]، وقيل إنه كان بينها وبين السيدة شغب خلاف، ولكن فيما بعد عطفت السيدة شغب عليها وأخرجتها من السجن في سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م، وأُعيدت لها أملاكها، وأُلزمت منزلها[٧٨].

وكانت القهرمانة ثمل ذات شخصية مؤثرة في البلاط العباسي، أقدمت السيدة شغب على إصدار قرار يدل دلالة واضحةً على أنها سيدة البلاط التي تُسَيِّر أمور الخلافة والرعية، وأنها تتلمس مصالح الناس، وذلك في سنة٣٠٦هـ/٩١٨م، فقد أصدرت أمراً أقرت فيه إسناد أمر القضاء إلى القهرمانة ثمل التي كانت تَجلِس في مجلس القضاء بالرصافة في كل يوم جمعة للنظر في مظالم الناس وشِكَيَاتهم[٧٩]، وأعادت حقوق المظلومين، وذلك من خلال جلوسها للنظر في المظالم[٨٠]، وكان الأعيان والفقهاء يحضرون مجلسها، وكانت تبرز التوقيعات على تمام الأمر بعد الحكم[٨١]. وفي الواقع أن القهرمانة ثمل لعبت دوراً مهمًا كسيدة من سيدات البلاط العباسي حتى وفاتها في سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م[٨٢]، وأن من أكبر أعمال الخير والبر ليس فقط بناء المنشآت الخيرية والمساجد، بل ومهنة القضاء والنظر في مظالم الناس والعدل بينهم.

الخـاتمـة

إن مفهوم النخبة هنا ليس أولئك الذين يتم تصنيفهم مباشرة تحت الملوك أو الدم النبيل فقط كالسيدة زبيدة الهاشمية العباسية حفيدة الخليفة أبي جعفر المنصور وزوجة الخليفة هارون الرشيد، وأن مثل هذا "الدم النبيل" يميل إلى امتلاك المزيد من الامتيازات مما سمح لهذه النخبة ببناء العيون، ودرب زبيدة، بالإضافة الى الكثير من المساجد والآبار، والمعروف، والمكانة الاجتماعية العليا، ولكن النخبة هنا هي مجموعة من نساء البلاط بمختلف طبقاتهن يَقُدْنَ المجتمع، ويَعْمَلْنَ البر وأعمال الخير؛ وذلك لارتباطهن بالسلطة بشكل مباشر، فكانت أمهات الأولاد وزجات الخلفاء مما كان لهن دور بالسلطة وعملية صنع القرار. وتتألف النخبة من نساء البلاط العباسي هنا من اللاتي يملكْنَ مقاليد القوة بعلاقتهن المباشرة برجال السياسية كالخلفاء والوزراء، حيث يمكن إعادة صياغة النخبة النسائية في البلاط العباسي رغم اختلاف طبقاتهن، فقد كانت الخيزران الجارية التي أصبحت أم ولد ثم سيدة في البلاط العباسي لها سلطة وقوة تتلمس هموم الناس واحتياجاتهم، وتتعرف على معاناتهم لمساعدتهم في حل مشكلاتهم حتى أن الناس كانوا يقفون على بابها طلبا للمساعدة وقضاء الحوائج(٨٣). وضربت السيدة زبيدة أروع الأمثلة في النفوذ وأعمال الخير والبر؛ فلازالت آثارهن باقية للعيان وشاهدةً على إسهاماتهن في أفعال الخير في العراق والحجاز، وفي طريق الحج (درب زبيدة)، وكان للنفوذ المالي لنساء البلاط العباسي دور كبير لدورهن في أعمال البر والخير كدور السيدة شغب التي استطاعت بتسلطها خلال عهد ابنها الخليفة المقتدر بالله وتحكمها في الوزراء ورجال الدولة أن تكون صاحبة نفوذ مالي، حققت من خلاله طموحاتها، بالإضافة إلى دروها في أعمال الخير والبر، فقد كان هناك تناقض بين القوة والسلطة من جهة وأعمال البر من جهة أخرى. وكذلك من أمهات الأولاد اللاتي كان لهن دور كبير في أعمال البرالسيدة شُجاع، والسيدة خمرة هي مولاة الخليفة المقتدر بالله وأم ولده، وهنا يتوسع مفهوم النخب في أعمال البر والخير، وقد كان نجاح خمرة وغيرها من النساء مرتبط أساساً بتوافير العوامل الأخرى كالسياسية والاقتصادية والتى ساهمت بشكل كبير بنجاح هؤلاء النسوة في أعمال الخير والبر. رغم أن هؤلاء النسوة اللاتي كن من طبقات متدنية، تم أسرهن كجوارٍ، ولكن ظروفهن ساعدتهن في أن تكن بمرتبة أمهات ولد للخلفاء، وذلك ساعدهن في

الارتقاء بعلاقتهن، وتَحَسَّنت حولهن العوامل الاقتصادية والسياسية وعلاقتهن بالسلطة لتكنن من النخب المساهمة في أعمال الخير والبر في المجتمع العباسي. وكيف استطاعت نساء نخبة البلاط العباسي استغلال نفوذهن وطبقتهن في أعمال الخير والبر، إذ كانت بعض أمهات الخلفاء في العصر العباسي قد وصلن إلى الغنى والثروة، كما وصلت إلى هذه الثروة بعض الجواري والقهرمانات.

إن دور المرأة العباسية في الحياة العامة والبر والاحسان، إلى دار الخلافة العباسية، واعتاد المجتمع البغدادي على وجود الجواري في قصور الخلفاء، وهن زوجات وأمهات الخلفاء، وهؤلاء الجواري ورغم ان في أغلب الأحيان يتم اتهامهم في تدهور الحياة في العصر العباسي، واستغلال النفوذ ولكن هذا لا يمنع أنهن –ساهمن في أعمال البر والإحسان و أن النساء في هذه المدة الزمنية ساهمن في إحداث نهضة علمية وفكرية في بغداد، ولا يمكن نكران دور النساء في الأعمال الإنسانية، فبنت الخيزران، دار الخيزران في مكة المكرمة، ووفرت زبيدة الماء لحجاج بيت الله، وشجعت شغب على إقامة المارستان الشغبي. كما بلغ نفوذ القهرمانة أم موسى حداً كبيرًا حتى كادت تتنافس مع السيدة شغب في النفوذ السياسي، والمادي، وأعمال البر مما عرضها للسجن، وتنوعت أعمال البر لدى القهرمانات كعمل القهرمانة ثمل التي كانت تحكم بين الناس بالعدل.

وأظهرت الدراسة أنه كان لنساء البلاط العباسي من أمهات، وزوجات الخلفاء، وجوارٍ، وقهرمانات، وغيرهن علاقة بالسلطة بشكل مباشر، وباختلاف طبقاتهن نجحن في القيام بأعمال البر والخير لتوفر الدعم أولًا من خلال رجال البلاط العباسي من خلفاء ووزراء من جهة، والدعم الاقتصادي وتوفر المادة من جهة أخرى . بالإضافة إلى إحساسهن بالمسئولية المجتمعية التي كانت الحافز الأساس في مثل هذه الأعمال في العصر العباسي من خلال نخبة من النساء في البلاط العباسي رغم اختلاف طبقتهن.

الهوامش

١- هو الخليفة العباسي محمد بن عبد الله جعفر المنصور، يكنى أبا عبد الله، ولد سنة ١٢٧هـ /٧٤٤م، بُويع له بالخلافة في مكة سنة ١٥٨هـ/٧٧٤م. انظر: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، د ت، ج٨ ، ص ص ١٠٥، ٣١٧.

٢- الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر: دار المعارف، ١٩٦٨م. ج٨، ص٢٣٠. أبو عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق: عبد الجبار زكار، بيروت: دار صادر، ج٢، ص ١٢٦. انظر: علي بن إبراهيم الحربي، المعجم الجغرافي للبلاد العربية (منطقة عسير) في المملكة العربية السعودية، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٧م ، ص٣٧٢.

٣- الطبري، تاريخ، ج٨ ، ص٢١٣. انظر: أبو بكر الجزائري، منهاج المسلم، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٩٩٦م، ص٢٣٤

٤- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة: مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، ١٩٩٨م ج١٣، ص ٥٦٩.

٥- ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤ ، ص٤٦٥.

٦- هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ولد سنة ٩٥هـ /٧١٣م، كان أكبر من أخيه أبي العباس السفاح، بُويع له بالخلافة في ذي الحجة سنة ١٣٦هـ/٧٥٣م. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ٤٥٩.

٧- ابن تغري، أبو المحاسن يوسف بردي (ت٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ومصطفى عطا، القاهرة: المؤسسة العامة للتأليف، ج٢، ص٦٨

٨- ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ٥٧١.

٩- الطبري، تاريخ ، ج٨ ، ص ٢٠٥

١٠- الأنبار مدينة عراقية تقع على نهر الفرات في غربي بغداد، فُتحت الأنبار في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة ٢هـ/٦٤١م. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٢٥٧ ـ ٢٥٨.

١١- أحمد بن جابر البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: لجنة تحقيق التراث، بيروت: مكتبة الهلال ١٩٨٣م، ص ٢٧٤.

١٢- ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٦١.

١٣- البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٧٤.

١٤- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبنا الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٩٦٨م، ج٢، ص ٣١٤.

١٥- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت٣٢٨هـ)، أخبار النساء في العقد الفريد، تحقيق: عبد مهنا، سمير جابر بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.، ج٥، ص ١١٣.

كذلك انظر: جـواد، مصطفى، سيدات البلاط العباسي، بيروت: دار الكشاف، ١٩٥٠م، ص٤٤.

١٦- الطبري، تاريخ، ج٨، ص ٣٥٩.

١٧- الخياط، ملك محمد، السيدة زبيدة ودورها السياسي والعمراني، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة:١٩٨٢م، ص ١١٠.

١٨- عن المجمل في عين زمزم المباركة : تاريخ عمارتها، وفضائلها، وأقوال المؤرخين فيها انظر: حسين عبد الله سلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، المطبعة الشرقية بجدة، الطبعة الأولى، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م، ص ١٦٨-١٩٣؛ عادل غباشي، المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة، ص ٦٥-٦٨؛ النابلسي (عبد الغنى إسماعيل)، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم أحمد عبد المجيد هريدى، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ص ٤٤٩، ٤٥٠؛ محمد لبيب البتنوني، الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر، مطبعة الجمالية، الطبعة الثانية، ١٣٢٩ه، ص ٦٣-٦٧.

19- H.S. Yasin, Islamic Calligraphy, Thames and Hudson ,(London, 1987), 14

٢٠- الطبري، تاريخ ، ج٧ ، ص ٤٦٥.

٢١- ابن الأثير، الكامل، ج ٥، ص ١٦١.

٢٢- الحربي، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق: حمد الجاسر، دار اليمامة، ص٣٣٠.

٢٣- عادل غباشي، المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة، ص ٧٨؛ محمود السرياني، مكة المكرمة دراسة في تطور النمو الحضري " مجلة الجمعية الجغرافية الكويتية (جمادي الآخرة ١٤٠٦هـ/ مارس ١٩٨٦م) العدد ٨٧، ص ٢٠

٢٤- عاتق بن غيث البلادي، دار مكة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولي، ١٩٨٠م، ص ١٩٧.

٢٥- من أهم أعمال الصيانة والعمارة لهذه العيون، ومنه بئر زمزم : عمارة الملك عبد العزيز آل سعود، التي أجراها سنة ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م، حيث أمر ببناء سبيلين للشرب، مما يلي قبة عين زمزم، يكونا بمثابة مورد عام لمياه الشرب للحجاج وأهل مكة المكرمة، فبني أحدهما بالجهة الشرقية، والثاني بالجهة الجنوبية، كما أمر بعمارة السبيل العثماني القديم بجوار عين زمزم أيضاً، وقام بمباشرة هذه العمارة الشيخ عبيد الله الدهلوي، فجاء تمامها علي أفضل الوجوه، حيث بني السبيلان برخام المرمر، وجعل لهما ست فوهات للشرب، وسجل علي كل منهما نقش كتابي بتاريخ العمارة، حيث سجل علي السبيل الشرقي ما نصه : (هذا السبيل أنشأه الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن السعود)، وكتب علي السبيل الجنوبي ما نصه : (أنشأ هذا السبيل الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن السعود)، كما سجل علي السبيل العثماني نص تجديد العمارة بما نصه : (جدد هذا السبيل الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن السعود) كما أجري الملك عبد العزيز آل سعود عمارة لعين زبيدة بإشراف الشيخ بيد الله الدهلوي سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م .

حسين سلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، المطبعة الشرقية بجدة، الطبعة الأولي، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م، ص ١٨٣، ١٨٤، ٢٨٢.

٢٦-محمد بدين و عبد الرحمن كباوي، دراسات في آثار المملكة العربية السعودية، ١/ ١١٩- ١٢١ .

٢٧-محمود السرياني، مكة المكرمة دراسة في تطور النمو الحضري، ص ٣٣

٢٨-موضع على طريق الحج العراقي بين المغيثة والعذيب. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٣٢.

٢٩-الحربي، المناسك وطرق الحج، ص٢٨٢. والهيثم موضع بين القاع وزبالة بطريق مكة المكرمة الكوفة على ستة أميال من القاع. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ح٥ ، ص٤٢٢.

٣٠-الرستمية، منسوبة إلى رستم، وهو موضع من طريق مكة المكرمة الكوفة بين الشقوق وبطان من طريق الحجاج العراقيين. انظر: ياقوت معجم البلدان ج٣ ، ص٤٣.

٣١-الحربي، المناسك وطرق الحج، ص ص ٢٩٢-٢٩٣.

٣٢-انظر: ياقوت، معجم البلدان،ج١، ص ١٠٢ الحربي، المناسك وطرق الحج، ص ٣٠٣.

٣٣-العنابية موضع في طريق مكة الكوفة، ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٥٩.

٣٤-هو موضع بطريق مكة المكرمة ياقوت، معجم البلدان،ج٣، ص ٢٥٥-٢٥٦.

٣٥-ياقوت، معجم البلدان، معجم البلدان،ج٤، ص ٣٣٤. انظر كذلك المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٦٠.

٣٦-اليعقوبي، تاريخ، ص ٤٢٨ ـ ٤٢٩.

٣٧-عبد القادر الجزيري الحنبلي، درر الفوائد المنظمة في أخبار طرق الحج ومكة المعظمة، القاهرة: المطبعة السلفية ،١٩٦٤م، ص ٧٠٣.

٣٨-حُنين موضع قريب من مكة، وقيل هو وادٍ بين مكة والطائف، وقيل إنه وادٍ بجنب ذي المجاز. ياقوت، معجم البلدان، ج٢ ، ص ٣١٣ كذلك انظر: أبن الأثير، أسد الغابة، في معرفة الصحابة، ج٥، ص ص٣٨ــ ٣٩

٣٩-الأزرقي، محمد عبد الله بن أحمد (ت٢٤٤هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، مكة المكرمة: دار الثقافة للطباعة، ٢٠٠١م، ج٢ ، ص ص ٢٣١ ـ ٢٣٢.

٤٠-ملك خياط، السيدة زبيدة،ص٢٠٨، ص ٢١٠

٤١-الأزرقي، أخبار مكة، ج٢ ، ص ٣٢٧.

٤٢-الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص ٢٠٣

٤٣-لفظ الميمون بمعنى المبارك، وهو موضع نهر من أعمال واسط، قصبته الرصافة، وفوهته في قريه تسمى ميمون. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٥ ، ص ٢٤٥، ج٣ ص١٣٢.

٤٤-ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم الخزرجي (ت٦٦٨هـ)، عيون الأبناء في طبقات الأطباء، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٥م، ص ١٨٧ ـ ١٩٠.

٤٥- أفاد البحث اللغوي أن مصطلح "سِقَاية ومِسَقَّاة وسَقَّاية: الموضع الذى يشرب منـه، وتسمى كذلك المِشْرَبة، وسَقى العرق أي سال وبه عرق، ويقال للبيت الذى يتخذ مجمعاً للماء ويُسقى منه الناس: السَقاية، وسِقاية الحاج: سُقيهم الشراب.

جار الله أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى : أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٠م، د. ت، مادة سقى، ص ٢١٥؛ ابن منظور: **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠م، مادة سقى، ٧/ ٢١١ : ٢١٣.

والسَقَّاية بفتح السين وتشديد القاف : مصطلح لمنشأة معمارية مائية خدمية متكاملة، مكونة من عدة أجزاء متصلة، وهى منشأة عامة النفع - الغرض الوظيفي منها: توصيل مياه الشرب النقية من المصدر المائي سواء أكان نهراً أم ترعة بعد جلبه منه بواسطة السواقي النقال وتجميعه في أحواض كبيرة، وتنظيم وصول هذا الماء بواسطة قناة مستطيلة معلقة أي محمولة على عقود إلى أجزاء المدينة الواحدة أو التجمعات السكنية المختلفة .

سامى نوار، " المنشآت المائية بمصر منذ الفتح الإسلامي وحتى نهاية العصر المملوكي دراسة أثرية معمارية "، رسالة دكتوراه (منشورة)، كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط، ١٩٨٤ م، ص ٢٤١- ٢٤٣؛ مجدي عبد الجواد علوان " السقاية كمورد عام لمياه الشرب – دراسة آثارية للمصطلح الوظيفي والتكوين المعماري في ضوء سقاية مكتشفة حديثاً بمدينة أسيوط – مصر – من العصر العثماني"، المؤتمر العالمي الأول للعمارة والفنون الإسلامية " الماضي والحاضر والمستقبل " (٢٧-١٩/ أكتوبر٢٠٠٧م)، رابطة العالم الإسلامي، جامعة القاهرة، ص ٤٢٠.

٤٦- من أشهر طرق الحج وأقدمها، يبلغ طوله ١١٠٠ كيلومتر، أقيمت علي امتداده ٨٧ محطة واستراحة كشفت عنها ألعمال الحفائر والتنقيب الأثرية في المملكة السعودية، وينسب للسيدة زبيدة بنت جعفر المنصور - زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد والتي أولته اهتماماً بالغاً، ويصل بين الكوفة في العراق ومكة المكرمة، وما تزال آثاره ومرافقه الخدمية قائمة حتي اليوم.

صالح أحمد العلي، معالم بغداد الإدارية والعمرانية: دراسة تخطيطية، بغداد، دار الشئون الثقافية العامة، ١٩٨٨م، ص ٨٩؛ عاتق بن غيث البلادي : معالم مكة التاريخية والأثرية،، ص ١٩٧؛ محمد بدين و عبد الرحمن كباوي : دراسات في آثار المملكة العربية السعودية، ١٠٢/١-١٠٩

٤٧- أليكسي فاسيلييف، أليكسي فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٩٥م، ص ٤٢.

٤٨-خصص هذا الطريق لحجاج بيت الله الحرام إلي مكة المكرمة من بلاد الشام (سوريا، الأردن، فلسطين)، وسجل به ٢٥ محطة خدمية تربط بين مكة والمدينة، وهذه المنشآت مماثلة لمثيلاتها بدرب زبيدة من حيث التصميم والغرض الوظيفي

محمد بدين و عبد الرحمن كباوي، دراسات في آثار المملكة العربية السعودية، ص ١٠٩- ١١٥

٤٩-السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن (ت٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمود رياض الحلبي، بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٦م، ص ٣٢٩.

٥٠- عبد الكريم عبده حتاملة، المعتمد في خلافة المعتضد بالله العباسي أحمد بن الموفق، الأردن: جامعة اليرموك، ١٩٨٤م، ص ١٠٤.

٥١- ابن الأثير، الكامل، ج٦ ، ص ص ٤١٠ - ٤١١. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص ص ٩٢ - ٩٣.

٥٢- العمري، ياسين بن خير الله، مهذب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء، تحقيق: رجاء السامرائي، بغداد: دار الجمهورية ،١٩٦٦م، ص ٢٢٦.

٥٣- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله (ت٣٣٥هـ)، كتاب الأوراق، تحقيق: خلف رشيد نعمان، بغداد: دار الشئون الثقافية العامة، ١٩٩٩م. ص ٣٨. الذهبي،شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد العرقسوس، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م.، ج١٥، ص ص٤٣ - ٤٤.

٥٤- جواد، سيدات البلاط العباسي، ص ٨٨ أحمد سويد، نساء شهيرات من تاريخنا، بيروت: مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ١٩٨٥م، ص ٢٠١.

٥٥- مليحة رحمة الله، دور المرأة السياسي في العصر العباسي، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، بغداد: دار المعارف، ١٩٧١م، ص ٧٥٩. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة ،١٩٧٣م ج٤، ص ٢٣٢.

٥٦- ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ ، ص٣٢١

٥٧- هو أبو سعيد، سنان بن ثابت بن قرة الصابي، من عائلة مارست مهنة الطب، كان في خدمة الخليفة المقتدر بالله واعتنق الدين الإسلامي في خلافة القاهر، توفي مسلماً في سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م، ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص٣٠٠. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٨٠٧.

٥٨- ابن الأثير، الكامل، ج٦ ، ص٣٠٧.

٥٩- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج١ ص١.

٦٠- كحالة، أعلام النساء، ج٣ ، ص٩٥.

٦١- الصابي، أبو الحسن هلال بن المحسن(ت٤١٨هـ)، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار فرج ، القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٩٥٨م.، ص ص ٦٧ – ٦٨، الرشيد، القاضي الرشيد بن الزبير (ت٥٦٣هـ)، كتاب الذخائر والتحف، تحقيق: محمد حميد الله، الكويت: دار المطبوعات والنشر،١٩٥٩م، ص ٢٣٨. الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ص ١٧٩.

٦٢- المسعودي، التنبيه والأشراف، ص ٣٢٩.

٦٣- جواد، سيدات البلاط العباسي، ص٦٩.

٦٤- جواد، سيدات البلاط العباسي، ص ٦٠. واسط موضع في العراق يقع بين البصرة والكوفة انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٥ ، ص ٣٤٧. الزهراني، النفقات، ص ١٦٤

٦٥- الرشيد، الذخائر، ص ٢١٩

٦٦- ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص٤٥

٦٧- ابن الساعي، نساء الخلفاء، ص١٠٦.

٦٨- ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ ، ص ٣٠٦.

٦٩- ابن الساعي، نساء الخلفاء، ص ١٠٧، ١٠٨.

٧٠- الهمذاني ، محمد بن عبد الملك (ت٥٢١هـ)، تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: ألبرت يوسف كنعان، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، د ت.، ص ٩، الرشيـد، الذخائر، ص ٢٣٩.

٧١- الرشيـد، الذخائر، ص ٢٣٩.

٧٢- الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص ٩.

٧٣- ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٦٥

٧٤- مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت٤٢١هـ)، تجارب الأمم، القاهرة: مطبعة شركة التمدن الصناعي، ١٩١٤م.، جـ١ ص٢.

٧٥- الصابي، تاريخ الوزراء، ص ٢٥٧.

٧٦- ابن الجوزي: المرجع السابق، جـ٦ ص١.

٧٧- الصولي، أخبار المقتدر، ص ٢٧٣.

٧٨- ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤ ، ص ٨٠٧.

٧٩- القرطبي، عريب بن سعيد (ت ٣٧٠ هـ)، صلة تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٧م، ص ٦٧.

٨٠- ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٣، ص ص ١٨٠ ـ ١٨١.

٨١- الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، الكويت: مطبعة الحكومة، ١٩٨٤م، ج٢، ص١٧٣.

٨٢- الطبري، تاريخ ج٨ ، ص ٢٠٥.

المصادر والمراجع

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.
- الأزرقي، محمد عبد الله بنأ (ت٢٤٤هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، مكة المكرمة: دار الثقافة للطباعة، ٢٠٠١م.
- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم الخزرجي (ت٦٦٨هـ)، عيون الأبناء في طبقات الأطباء، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٥م.
- الأصفهاني، أبو الفرج (ت٣٥٦هـ)، أخبار النساء في كتاب الأغاني، تحقيق: عبد الأمير مهنا، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٩٦م.
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر(ت٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، تحقيق: لجنة تحقيق التراث، بيروت: مكتبة الهلال، ١٩٨٣م.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادرعطا ومصطفى عبدالقادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة: مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، ١٩٩٨م.
- ابن تغري، أبو المحاسن يوسف بردي (ت٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، القاهرة: المؤسسة العامة للتأليف، د ت.
- ابن عبد ربة ، أحمد بن محمد الأندلسي (ت٣٢٨هـ)، أخبار النساء في العقد الفريد، تحقيق: عبد مهنا، سمير جابر، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.الحربي، أبو إسحاق (ت٢٨٥هـ)، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق: حمد الجاسر، الرياض: دار اليمامة، ١٩٦٩م.
- الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان ، بيروت: دار صادر،١٩٧٧م.
- الرشيد، القاضي الرشيد بن الزبير (ت٥٦٣هـ)، كتاب الذخائر والتحف، تحقيق: محمد حميد الله، الكويت: دار المطبوعات والنشر،١٩٥٩م.
- ابن الساعي، تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب (ت٦٧٤هـ)، نساء الخلفاء المسمى جهات الائمة الخلفاء من الحرائر والإماء، تحقيق: مصطفى جواد، القاهرة: دار المعارف، د ت.
- السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن (ت٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمود رياض الحلبي، بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٦م.
- المستظرف من أخبار الجواري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٧٦م.
- الصابي، أبو الحسن هلال بن المحسن (ت٤١٨هـ)، رسوم دار الخلافة، تحقيق: ميخائيل عواد، بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٤م.
- الصابي، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار فرج، القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٩٥٨م.

- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله (ت٣٣٥هـ)، كتاب الأوراق، تحقيق: خلف رشيد نعمان، بغداد: دار الشئون الثقافية العامة، ١٩٩٩م.
- الطبري، أحمد بن عبد الله (ت٤١٣هـ)، السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ، د ت.
- الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر: دار المعارف، ١٩٦٨م.
- القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد البر (ت٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي البجاوي، بيروت: دار الجبل ،١٩٩٢م.
- القرطبي، عريب بن سعيد (ت ٣٧٠ هـ)، صلة تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٧م.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة ،١٩٧٣م.
- الهمذاني، محمد بن عبد الملك (ت٥٢١هـ)، تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: ألبرت يوسف كنعان، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، د ت.
- الجزائري، أبو بكر جابر، منهاج المسلم، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٩٩٦م.
- حتاملة، عبد الكريم عبده، المعتمد في خلافة المعتضد بالله العباسي أحمد بن الموفق، الأردن: جامعة اليرموك، ١٩٨٤م.
- الدوري، عبد العزيز، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بيروت: مركز الوحدة العربية، ٢٠٠٧م.
- رحمة الله، مليحة، دور المرأة السياسي في العصر العباسي الثاني، بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٧١م.
- الزهراني، ضيف الله يحيى، النفقات وإدارتها في الدولة العباسية، الأردن: مكتبة المنار، ١٩٨٦م.
- عرفة، ثريا حافظ، الخراسانيون ودورهم في العصر العباسي الأول، جدة: مطبعة تهامة، ١٩٨٢م.
- الرشيد، القاضي الرشيد بن الزبير(ت٥٦٣هـ)، كتاب الذخائر والتحف، تحقيق: محمد حميد الله، الكويت: دار المطبوعات والنشر،١٩٥٩م.
- عمر، فاروق، الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية، بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٧٧م.
- جواد، مصطفى، سيدات البلاط العباسي، بيروت: دار الكشاف، ١٩٥٠م.
- كحالة، عمر رضا، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، دمشق: المطبعة الهاشمية،١٩٤٠م.